كلية : الآداب

القسم او الفرع : الاجتماع

المرحلة: الثانية

أستاذ المادة : د.أ.م. محمد علي فدعم

اسم المادة باللغة العربية : علم الاجتماع الريفي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Rural Sociology

اسم المحاضرة الخامسة باللغة العربية: اسهام الاقتصاد في الدراسات الريفية

اسم المحاضرة الخامسة باللغة الإنكليزية : The contribution of economics to rural studies

محتوى المحاضرة الخامسة

اسهام الاقتصاد في الدراسات الريفية

والى عهد قريب كانت المجتمعات القروية من الموضوعات التي تهتم بها علوم أخرى غير الانثروبولوجيا ، فقد استرعت المجتمعات القروية في أوربا وآسيا انتباه رجال الاقتصاد والاجتماع والمؤرخين الذين كانوا يهتمون بأصول النظم القروية ولاسيما النظم الزراعية . وقد تركز اهتمام هؤلاء الدارسين حول العلاقات بين الفلاحين وأشكال الملكية الزراعية المختلفة وخاصة الاقطاع . وهكذا كان هناك اختلاف بين دراسة الفولكلور أو التراث الشعبي Folklore والحياة الشعبية Folklife (الحياة القروية) وبين دراسة الانثروبولوجي أو الاثنولوجي الحياة البدائية (الفولكسنده Folkskunde في مقابل الـ Volker Kunde) .

عندما انتقل الانثروبولوجيون الامريكيون من دراسة المجتمعات القديمة في شمال أمريكا الى دراسة الحياة القروية المعاصرة في جنوب ووسط أمريكا ، اهتم عدد كبير منهم بدراسة أوضاع الفلاحين . وقد أدى ذلك الانتقال الى حدوث تحول لم يدركه هؤلاء العلماء تماما في طريقة ترتيب المجتمعات التي يقومون بدراستها في عقولهم.

ويتميز كل مجتمع قروى بمجال معين من أنماط النشاط الاقتصادي الذي يستحق الدراسة والذي يختلف الى حد ما عن المجموعة المتكاملة لكل الانشطة التي يتميز بها المجتمع البدائي المنعزل . ويتخذ ذلك المجال الاقتصادي ـ كما يقول بارنز ـ وصفا مختلفا عند التحليل» ، اذ يجب على المرء أن يقوم بدراسة خاصة لهذا المجال الاقتصادي . ولذا نجد هانسن Hanssen في دراسته للحياة الريفية في السوق منذ قرن ، يقوم بوصف العلاقات التي كانت موجودة بين هؤلاء القرويين الذين كان معظمهم ممن يسكنون الاكواخ وبين سادة المزرعة الذين كان هؤلاء الفلاحين يعملون في خدمتهم . ويقوم بوصف هذه العلاقات كميدان نشاط يتميز به ذلك المجتمع ، ولم يكن ذلك المجال في هذه الحالة مجالا اقتصاديا تماما.

وقد قام الدارسون المعلم الاجتماع الريفي والاقتصاد بوصف المناطق التي تباع فيها البضائع من نوع أو آخر ، وكذلك المناطق التي يأتى اليها المشترون من مراكز التوزيع . كما قدم ارنسبرج Arensberg وكمبال Kimball وهما من الانثروبولوجيين ، وصفا جيدا لمثل هذه الاسواق التي تتركز حول تقاطع الطرق وفي المعارض والمحلات في ريف ايرلندا. ومن الواضح أن الغرض أو الهدف الذي يربط بين الافراد في شبكة العلاقات هو مسألة تشابه او اختلاف على جانب كبير من الاهمية. فقد قام اوسكار لويس Oscar Lewis بمقارنة المجتمعات الريسية في المكسيك وجزر الهند الشرقية ليؤكد اختلافا من هذا النوع . واذا نظرنا الى ريف المكسيك نرى قرية ترتبط بأخرى عن طريق التجارة أساسا وكذلك عن طريق التزاور في الاعياد والقيام بالواجبات والمهام الحكومية عن طريق الحج الى الاضرحة وتميل المجتمعات المحلية الى تحبيذ فكرة الزواج الداخلي ، ولكل منها ثقافة متجانسة الى حد ما كما أن الاحساس بالولاء للمجتمع المحلى قوى جدا ، أما الاشخاص الذين يخرجون من مجتمع محلى الى آخر أو الى مدينة ، فانما يفعلون ذلك كأفراد أو كجماعات أسرية ويقومون بأنشطة متشابهة ولكنها

متوازية ومفصلة . وتتفق هذه الانشطة مع الحياة الثقافية والاسرية التي يحياها الافراد داخل القرية ، وليس هناك جماعات كاملة ذات ثقافة وبناء اجتماعي ولها علاقات دائمة في شبكة العلاقات مع جماعات أخرى مماثلة في مجتمعات محلية اخرى.

كما يظهر الميدان الاقتصادي في ذلك « السوق الصامت » الذي نوه بأهميته الكتاب الالمان الذين كتبوا عن الاقتصاد البدائي ، وقد نما ذلك السوق الصامت في مجتمعات ما قبل التعليم ، ويظهر في أسواق أبومى Abomey الكبيرة ، ويقال أن عشرة آلاف شخص قد يشتركون في مثل هذا السوق . ولكن الصناعة التي تنشأ خارج الحياة المحلية البدائية وخاصة الصناعة الرأسمالية والتكنولوجية تجذب عامل الكامار من قريته الهندية للعمل في مصانع القطن والجوت ، كما تجذب رجل القبيلة الافريقي للعمل في مناجم الماس ، ورجل القبيلة في غينيا الجديدة للعمل في المزارع البعيدة ، وتعتبر « المجالات » الاقتصادية للفلاح أقل وضوحا وأقل تمزقا للحياة المحلية من تلك التي تؤثر في رجل القبيلة.

فالرجل البدائي هو ذلك الشخص الذي سرعان ما يدخل في الصناعة الحديثة عندما تقام في بلده،أما الفلاح الذي يمتلك الارض فيتبع طريقة في الحياة قد تكيفت تماما مع كثير من جوانب الحضارة ، وهو بهذا يعتبر أكثر مقاومة لأغراء التصنيع.

وهناك انطباع عام أن الفلاحين متشابهين في مناطق كثيرة أو حتى في العالم بأجمعه . ولذا نجد أوسكار هاندلين عند استعراضه للصفات القروية التي جلبها المهاجرون الى أمريكا الشمالية، يؤكد أن جموع الفلاحين من أقاصي أوربا الغربية وفي ايرلندا وفى روسيا وفى الشرق ، يتميزون بطابع متشابه في الهدوء ورباطة الجأش . ثم يقوم بوصف هذا التشابه قائلا : « في كل مكان يوجد ارتباط شخصى مع الارض أو ارتباط بقرية متكاملة أو مجتمع محلى . كما يظهر التركيز على أهمية الاسرة ، ويعتبر الزواج شرطا للانتعاش الاقتصادي وتركيز الانساب والسلالات في الذكور والصراع بين الارتباط بالارض والعالم المحلى ، وضرورة زرع المحاصيل النقدية » . وهكذا يجد الملاحظ للحياة القروية في شرق الهند ، الصلة الحقيقية بين الشرق والغرب متمثلة في هؤلاء الفلاحين . « ذلك لان الفلاح في هذه المنطقة يمثل طريقة في الحياة قديمة كقدم الحضارة ذاتها » • « فهناك وحدة أساسية تجعل الفلاحين متشابهين جدا في كل مكان » • كما نجد نفس الانطباع عند كاتب فرنسى حديث يعتقد أن الفلاحين متشابهين جدا في كل مكان ، لدرجة أنه يطلق عليهم « سلالة ذات صفات نفسية وجسدية عامة » • ويعلن أن الفلاح في أي مكان يشبه الفلاح الذي يبعد عنه مسافة كبيرة أكثر مما يشبه رجل المدينة الذي يعيش معه في نفس البلد . كما يذكر أيضا بعض الملامح التي يشترك فيها الفلاحون في كل مكان مثل : اعتبار الاسرة كجماعة اجتماعية ، والارتباط الروحي بالارض ، والتركيز على أهمية الانجاب .